الصراع الفلسطيني– الإسرائيلي عبر وسائل الإعلام
الأسطورة و الإيتوس الصراعي

عبد العالي عبد القادر
جامعة السانيا – وهران

مقدمة:

تحفل الكتابات و الدراسات الإعلامية بالكثير من الدراسات حول التأثير المعتبر لوسائل الإعلام على الفرد والمجتمع و المجموعات الاجتماعية و على الرأي العام، و تتعدد المقتربات و النظريات التي تحاول طرق التأثير و الإقناع و التعبئة ونطاق ذلك، بل ترى بعض الدراسات أن الرأي العام تصنعه وسائل الإعلام اليومية، و أن المواقف و المعتقدات و الأفكار تصنعها نخب إعلامية سياسية لتطرحها وسائل الإعلام [1]، ويزداد تأثير وسائل الإعلام في شحن العواطف و المواقف و إثارة المشاعر، ليصل ذلك إلى الحرب النفسية و غسيل الدماغ و التحريض، حين يكون الرأي العام جماهير تنتمي إلى مجموعات متصارعة مثلما هو الحال في الصراع بين الفلسطينيين و الإسرائيليين، حيث تساهم وسائل الإعلام بدورها في إدارة الصراع وتغذيته، و التعبئة ضد الطرف الآخر، و في صناعة ثوابت لا يمكن التنازل حولها و أسطرة العدو و نزع الإنسانية عنه، والتعامل مع القضية الصراعية بأسطرتها و اختزالها إلى ثنائيات تتقلص أمامها الخيارات.

و من هذا المنطلق فهذه الورقة البحثية تدرس التصورات التي تطرحها وسائل الإعلام الإسرائيلية ووسائل الإعلام الفلسطينية للقضية التي يدور حولها الصراع، والأساطير الأساسية التي تتضمنها الخطابات الإعلامية لكل طرف، و ما هي المعتقدات المحورية حول تصور الأنا و الآخر كمحصلة لذلك؟

النظرة إلى إعلام الطرف المعادي أنه إعلام دعائي:

إن مصطلح الدعاية أول ما استعمل كان عند تأسيس مجموعة تبشيرية كاثوليكية في أمريكا اللاتينية التي اختصر اسمها في كلمة بروباغاندا[2]، و تتطور مدلولها عند الألمان أثناء الحرب العالمية الثانية إلى أنها أداة إعلامية تساهم في الجهد الحربي، و بأنها مجموعة من الإجراءات و التخطيطات التي تهدف إلى الرقابة و التحكم في المعلومات و الرسائل الإعلامية للترويج لسمعة و عدالة القضية التي تعكسها سياسة النظام، فهي نمط من الاتصال يهدف إلى ترسيخ قناعات و أفكار معينة في الجمهور المتلقي[3]، وفي إطار الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، فإن الرؤية السائدة حول إعلام الطرف المقابل بأنه ينتمي إلى منظومة إعلامية دعائية، تفتقر إلى المصداقية و لا تقول الحقيقة، و أنه إعلام يقدم معلومات مغرضة و غير بريئة، وهي رؤية مركزية عند الإعلاميين العرب و الباحثين و المواطن العادي تجاه الإعلام الإسرائيلي، و الأمر لا يختلف بالنسبة لرؤية الطرف الإسرائيلي، وتنيجة ذلك فالأمر يتعلق **بإعلام العدو**.

---

[1] هربرت شيلر ، المتلاعبون بالعقول، ترجمة: عبد السلام رضوان، الإصدار الثاني، الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، 1999. ص 07.

[2] رون شيلفر ، " الحرب النفسية في إسرائيل"، المركز الفلسطيني للإعلام،19 أفريل 2005."< www.palestine-info.net\arabic\shoonalkaian\researches\haarb.htm. <

[3] مضطفى عبد الله خشيم ، موسوعة علم السياسة : مسطلخات مختارة، بنغازي: الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان، 1995.،ص 157

فعبد الوهاب المسيري يرى بان الخطاب الذي يمرره الإعلام الإسرائيلي هو خطاب مراوغ تتعدد فيه الخطابات إلى جد التضارب و التناقض، بتعدد المجموعات التي يتوجه إليها الخطاب[4] و المحصلة إعطاء صورة غير متناسقة لإسرائيل دولة و مجتمعا، فهو خطاب متلون، يتوجه إلى العالم الغربي الأمريكي و الأوروبي ليصور إسرائيل حديقة وسط صحراء قاحلة، فهي دولة ديمقراطية ليبرالية علمانية تواجه خطر الإبادة و الهولوكوست من قبل العالم العربي بدوله الدكتاتورية و المليء بالحقد و التعصب ضد القيم الغربية الديمقراطية، و يتوجه الخطاب إلى الآسيويين ليصور إسرائيل دولة آسيوية و نموذج ناجح في التنمية، و يتوجه إلى الأفارقة بصورة دولة تعاني مثلهم من الحروب و أنها دولة فتية حققت استقلالها و تبحث عن التنمية و التعاون مع دول الجنوب[5].

ويرى إدوارد سعيد في الدعاية الصهيونية بأنها " أرهب جهاز دعاية في العالم يقوم بمسخ صورة شعب بأكمله"[6]، وذلك بانتهاج الإعلام الإسرائيلي لأسلوب الإغراق الإعلامي و التكرار في الرسالة الإعلامية (أسلوب طلقات المدفع)[7] ، و استعمال أسلوب التباين و الثنائية الاختزالية بتقديم إسرائيل المتقدمة الرائدة في الشرق الأوسط مقابل تقديم معلومات و دراسات و تقارير و إحصاءات عن التخلف في العالم العربي و نسبة الأمية، و حالة التعصب الديني و العمال الإرهابية و قمع السلطات و سوء معاملة الأقليات[8].

أما النظرة الإسرائيلية لوسائل الإعلام العربية حسب مراكز البحث الإسرائيلية (معهد ميمري على سبيل المثال) فتراه بدورها إعلاما دعائيا يروج للاسامية و التحريض ضد اليهود و إسرائيل و شعب إسرائيل، و هو إعلام غير مستقل يستهدف غسل أدمغة مواطنين لا حول لهم ولا قوة[9].

فالصراع الإعلامي بين العرب و الإسرائيليين و صل إلى مرحلة الحرب النفسية، خصوصا في ظروف الانتفاضة الثانية.

و هناك من يرى أن هذه الحرب النفسية أحادية الاتجاه يفرضها الطرف الإسرائيلي الأقوى إعلاميا ضد الطرف الفلسطيني الأكثر ضعفا، و باستثناء إعلام المقاومة اللبنانية التي قادها حزب الله و إدارته لحرب نفسية ضد إسرائيل و تواجدها في جنوب لبنان كان ممن ثمارها تحرير الجنوب.

فالحرب النفسية باعتبارها السيطرة على المعلومة الموجهة للجماهير بهدف خلق الارتباك و الإخلال بالوضع النفسي وبث اليأس داخل صفوف العدو وجماهيره، و بهذا المفهوم فالمنظومة الإعلامية الإسرائيلية بجملتها تمارس حربا نفسية ضد الفلسطينيين، و هنا يختلف تقييم هذه الحرب النفسية والقوة الإعلامية ومن يمتلك ميزات القوة و الوضوح في الرسالة الإعلامية، فكل طرف يتهم الآخر بممارسة الدعاية و الحرب النفسية و التحريض ضده و ضد مجتمعه، أو الدعاية السوداء بمصطلح الفلسطينيين[10]، و أصبح ينظر إلى الصراع ليس مجرد أعمال عنف متبادلة و توازن في الردع بل كذلك توازن في الصور، وتصوير الذات الجماعية بأنها مستهدفة و أن الطرف المعني هو الضحية، فقد صورت وسائل الإعلام الإسرائيلية الأحداث التي اندلعت بسببها الانتفاضة بأنها مجرد اضطرابات قام بها شباب عرب في ساحة المسجد الأقصى قاموا برمي الحجارة على المصلين اليهود فتصدت لهم قوات

---

[4] عبد الوهاب المسيري، " الخطاب الصهيوني المراوغ"، ***صحيفة الشعب*** , 6-6-2003.

[5] بدير خالد، الدعاية الصهيونية و الإنتفاضة الفلسطينية، موقع باحث للدراسات, http://www.bahethcenter.org/arabic/derasat/ald3ia_alsahyouni.htm

[6] الرجع نفسه.

[7] هربرت شيلر، مرجع سابق، ص 42.

[8] خالد بدير، مرجع سابق.

[9] documentation project, www.memri.org\antisemitism.html.

[10] خالد بدير، مرجع سابق.

الأمن، و تعاملت مع زيارة شارون التي اندلعت المظاهرات بسببها بنوع من التجاهل أو بنوع من التبرير و بأنها مسألة طبيعية لا تحمل أي طابع استفزازي وأن أي يهودي له الحق في زيارة الأماكن المقدسة الموجودة على جبل الهيكل[11].

و للتغلب على الحرج الذي وقعت فيه إسرائيل بانكشاف الصورة الموضوعية لممارستها العنف و التقتيل ضد المدنيين الفلسطينيين ولو كانوا يحملون الجنسية الإسرائيلية، و من خلال عدد الضحايا لاسيما المدنيين والأطفال و النساء الفلسطينيين وكذا من خلال الصور الحية التي تنقل الوقائع باستمرار، فقد انتهجت إسرائيل خططا إعلامية مستفيدة من الأخطاء أثناء الانتفاضة الأولى، وذلك بزيادة التنسيق الجهاز الإعلامي العسكري و المدني، لمعالجة الأخبار و المبادرة بصنعها و جمعها وبث المعلومات التي تريد إسرائيل رسم نفسها أمام العالم وذلك بتخصيص متحدث إعلامي رسمي للجيش الإسرائيلي (شاب وسيم) يتقن التحدث برزانة ولباقة لإعطاء صورة جيدة لجيش الدفاع الإسرائيلي(تساهال צ"הל)، و أنه يقوم بمهام دفاعية ضد المخربين و الإرهابيين و حماية المستوطنين، و القيام بعمليات أمنية مبررة أخلاقيا، و كذلك المبادرة بخلق الأحداث و استغلال هذه المبادرات و المناسبات للتأكيد على صورة إسرائيل الضحية المعتدى عليها[12]، وقد تمكنت إسرائيل والإعلام الإسرائيلي من استغلال مثل هذه المناسبات و استغلالها إعلاميا و لأطول مدة ممكنة، فاستغلت حادثة ضبط السفينة المحملة بالأسلحة و اغتيال زئيفي و أولى العمليات الإستشهادية لتمارس ضغوطا على السلطة الفلسطينية، و اعتبار ذلك ذريعة لتدمير البنية التحتية للسلطة الفلسطينية والاقتحام المتكرر للمدن والمخيمات الفلسطينية و التصفية الجسدية لكثير من القيادات الفلسطينية و بناء السور العازل وتبرير كل ذلك بأنها إجراءات أمنية[13].

كما استفادت من درس الانتفاضة الأولى لتعيين مرافقين إعلاميين في وحدات الجيش أثناء العمليات الأمنية و تغطيتها ميدانيا وتزويد وسائل الإعلام العالمية و الإعلاميين بالصور و المعلومات خصوصا مشاهد الاشتباكات مع المقاومين الفلسطينيين لتصويرهم بأنهم وراء مأساة المدنيين العزل، وفق استراتيجية أن تعرض نفسك بأنك ضحية و في نفس الوقت لك إمكانية للردع و الانتقام للضحايا من المجرمين[14].

و لمواجهة العمليات الإستشهادية فقد مارست وسائل الإعلام الإسرائيلية ضغوطا نفسية على الفلسطينية و عرض ضحاياها على الوسائل الإعلامية العالمية خصوصا إذا كانوا من الأطفال اليهود، ونعت الإستشهاديين بأنهم إنتحاريون مجانين و مضطربين نفسيا و قعوا تحت التخدير و التغرير، وان هذه العمليات غير مجدية لأن حصيلتها ضحايا محدودي العدد حيث يجري في أحيان كثيرة التكتم على الحصيلة الثقيلة للإصابات ، و الهجوم الإعلامي و الدبلوماسي على القيادة الفلسطينية بأنها وراء هذه العمليات و أنها تشجع على الإرهاب و بالتالي عزلها دبلوماسيا و سياسيا[15].

و بعد أحداث 11 سبتمبر تقدمت الحرب الدعائية و الإعلامية خطوات على الأمام من خلال مطابقتها بين الفلسطينيين و الطالبان، و حاولت وسائل الإعلام جاهدة البحث عن أي نوع من الارتباط بين الفصائل الفلسطينية و تنظيم القاعدة، و تدعيم التبرير المقدم لأعمال القتل و القصف العشوائي بأنه قصف استهدف مخازن أسلحة و مصانع صنع صواريخ و مأوى يختبيء فيه الإرهابيون أو أن الهجمات هي لإحباط عمليات إرهابية[16].

و العنصر الآخر في الحرب النفسية هو محاولة الضغط على الأطراف الفلسطينية و محاولة تصويرهم أنهم في صراع داخلي : صراع بين فتح و حماس، بين الجناح العسكري لفتح و جناحها السياسي بين جناح الإصلاح داخل السلطة الفلسطينية ورجال

---

[11] المرجع نفسه.
[12] رون شيلفر، مرجع سابق.
[13] خالد بدير، مرجع سابق.
[14] رون شيلفر، مرجع سابق.
[15] المرجع نفسه.
[16] خالد بدير، مرجع سابق.

السلطة الفاسدين، كل ذلك محاولة لزحزحة مركز القضية و اختزال القضية في أنها مشكلة مع سلطة فلسطينية فاسدة وزعيم فلسطيني يشجع على الإرهاب، لذا فالسلطات الإسرائيلية لا تجد مع من تتحاور، فالرئيس الفلسطيني هو وراء أعمال العنف و الإرهاب التي تستهدف إسرائيل و سكانها، وهو يقف وراء فشل محادثات كامب ديفيد الثانية التي قدم فيها إيهود باؤاك عروضا سخية لحل الصراع الإسرائيلي . الفلسطيني[17] .

الأساطير التي يمررها الإعلام الإسرائيلي و الفلسطيني:

إن الصراع الإعلامي بين الجانب الإسرائيلي و بين الجانب الفلسطيني من خلال المضامين الإعلامية تميل إلى تمرير مجموعة من الأساطير على أساس أنها حقائق أساسية تبرر الشروط السائدة و الوضع القائم و تعطي شرعية لأهداف و قضايا المجموعة التي يعبر عنها هذا الإعلام، هذه الأساطير تعمل على تعبئة الداخل ضد العدو ضمن تصور يغالي و يبتعد عن الحقائق الموضوعية و يشوهها أو يتجاهل بعض عناصرها ليتسق ذلك مع الصورة الذاتية للمجموعة، فإذا أردنا أن نتفحص أهم العناصر الأسطورية لدى كلا الطرفين و التي يظهرها المحتوى الإعلامي نجد أن أهم الأساطير التي يكرسها الإعلام الإسرائيلي (الصحف و المجلات و الراديو و التلفزيون الناطق باسم الأغلبية اليهودية) ما يلي:

الأساطير الإعلامية الإسرائيلية:

1. أسطورة " القلعة المحاصرة" و العالم الذي يقف ضد شعب إسرائيل، هذه الأسطورة بمختلف تنوعاتها تغرس في نفسية الأفراد و الذاكرة الجماعية اليهودية بأنهم في خطر دائم و قائم، سببه عداء الأغيار لشعب إسرائيل بالمصطلح التلمودي، و هي في الواقع تعكس خبرة متراكمة لذاكر جماعية للجماعات اليهودية خصوصا يهود أوروبا الشرقية الذين كانت لهم خبرة طويلة مع المذابح و الإضطهادات المتكررة، و يعاد تعزيز هذه الأسطورة بمجموعة من الأساطير التاريخية مثل أسطورة الماسادا أو القلعة اليهودية التي حاصرها الرومان عام 70 م، بعد سقوط أورشليم حيث رفض المقاتلون اليهود الاستسلام حسب الأسطورة و قاموا بانتحار جماعي و على ان يستسلموا أسرى إلى الرومان[18]، وهذه الأسطورة التي تطرح واقعة الماسادا بهذا الشكل لها وظيفة تعزيز الانتماء القومي و إحياء البطولة اليهودية التي ترفض الاستسلام للأغيار[19]، و تتجلى كذلك أسطورة الخطر الدائم من خلال اسطرة وقائع الهولوكوست باعتبارها حادث تاريخي جرى التهويل و المبالغة في أحداثها الفعلية ، فبعض المؤرخين الإسرائيليين " المؤرخين الجدد" عمل على دحض هذه الأساطير التاريخية[20].
2. أسطورة اللاسامية باعتبارها ظاهرة ملازمة للشتات اليهودي و أن اليهودي يظل مكروها خارج وطنه، لذا لابد للشعب اليهودي من وطن أو ملجأ يحتمي به و يجعله يعيش مثل باقي الشعوب الأخرى، وهي أسطورة صهيونية تختزل الواقع التاريخي لتواجد المجموعات اليهودية و تشوه الحقائق ، و تختصر الموقف من اليهود بلته ثنائي إما مع او ضد و تغفل الموقف الثالث : عدم الإكتراث باليهود[21]، و تغفل الأسباب الموضوعية التاريخية لكراهية اليهود المرتبط بظروف الحياة الاجتماعية و الاقتصادية لليهود و تمثيلهم لجماعات وطيفية تمتهن التجارة و بعض الحرف الخاصة و تتحالف مع

---

[17] المرجع نفسه.

[18] نحمان بن يهودا، " أسطورة المسادا"، ***مجلة الكرمل***، عدد 67، ربيع 2001، ص209، 211.

[19] المرجع نفسه، ص 213.

[20] روجيه جارودي ، **الخرافات الموسسة للسياسة الإسرائيلية**، ترجمة: م ع كيلاني، الجزائر: دار هومة، 1997. ص 146

[21] عبد الوهاب المسيري، الرجع السابق.

السلطات العليا في أي بلد تحل به، لذا تظل معرضة للاضطهاد كلما تبدل واقع السلطة وتكون ضحية للانتفاضات الشعبية مثلما وقع في روسيا و أوكرانيا و بولونيا خلال القرن الثامن و التاسع عشر[22].

3. المجموعة الموالية من الأساطير تتعلق بأسطورة ارض الميعاد و كأرض قاحلة شبه جالية من السكان و من أي شعب ، وهي أسطورة توراتية جرى تطويرها صهيونيا مع نشوء الحركة الصهيونية و الأدب الصهيوني الرومانسي[23]، لتصبح الحركة الصهيونية حركة قومية علمانية و لكن على أسس إثنو دينية تستلهم الأساطير الدينية اليهودية و تعلمنها ، مثلا: النظر إلى التوراة ليس ككتاب سماوي و إنما كوثيقة تاريخية و التقاليد الدينية فولكلور قومي حافظ على الشعب اليهودي من الذوبان.

4. والأسطورة الأخرى هي أسطورة النفي القسري التي تعرض له اليهود من أرض فلسطين (بالعبرية : جالوت)، وتفيد الأسطورة بأن الشعب اليهودي تعرض للنفي القسري عن بلاده عبر فترتين من التاريخ الأولى في عهد الدولة البابلية الآشورية بقيادة نبوخذنصر حيث نفي الإسرائيليون على بابل و النفي الأخير تم في عهد الرومان و تهديم الهيكل عام 70م، و الحقيقة التاريخية تشير إلى انتشار كبير للجماعات اليهودية عبر كبرى مدن البحر الأبيض المتوسط قبل هذا التاريخ بكثير (الأسكندرية، أثينا، روما، ...)، عبر هجرات و تنقلات أملتها المصالح التجارية[24]، و تفيد هذه الأسطورة إعلاميا في التحريض على الهجرة و إثبات شرعية الهجرة اليهودية إلى فلسطين و إقامة المستوطنات بها على حساب السكان الأصليين.

وهناك أساطير اخرى تدور حول الأساطير المركزية المذكورة.

الأساطير الإعلامية الفلسطينية:

أما الأساطير التي يمررها الإعلام الفلسطيني و باعتباره نموذجا للإعلام العربي الذي يكرس لخطاب ما بعد النكبة و ما بعد النكسة فنجد أن الإعلام الفلسطيني طور مجموعة من الأساطير في مجملها هي رد على الخطاب الصهيوني وتصد له ومن ذلك إنكار هوية و تاريخ فلسطيني متواصل ورد الفعل هو إنتاج خطاب قومي يستعيد الفولكلور و التقاليد المحلية و عرض لتاريخ المنطقة قبل العصر التوراتي و أثناءه و في الفترة الإسلامية لينتج الإعلام الفلسطيني تاريخا أسطوريا لقومية فلسطينية متواصلة عبر التاريخ، و أن الفلسطيني المعاصر هو سليل شعب العماليق...الخ. و نركز على الأساطير التالية:

1. أسطورة البروتوكولات الصهيونية: وهي أسطورة تلقفها الإعلام العربي منذ بداية الصراع العربي الإسرائيلي من مصادر إعلامية و كتابات أجنبية تأثرت بأجواء معاداة السامية في أوروبا الوسطي و الشرقية و روسيا، ومفاد الأسطورة النظر إلى الحركة الصهيونية حركة سرية عالمية لها تحالف وطيد مع الحركة الماسونية و أن لها مخططات عالمية لسيطرة على العالم، وهذا التصور ألتآمري يبالغ في إعطاء صورة للعدو و تخطيطاته الشاملة، وهي تغفل الواقع التاريخي لنشاة الصهيونية في الوسط المسيحي قبل الوسط اليهودي في روسيا و أوروبا الشرقية متمثلة في تنظيمات أحباء صهيون[25].
2. أسطورة الوحدة و الانسجام اليهودي الداخلي و الوحدة بين القومية اليهودية والدين اليهودي وهي أسطورة كذلك نجدها في بعض أوساط الصهيونية الدينية، و هي تفيد في تحفيز الفلسطينيين إلى النظر إلى الصراع أنه صراع عقائدي و ديني بالأساس، و أن اليهود قدموا إلى الأرض الفلسطينية من منطلق ديني، و الواقع بالنظر إلى تاريخ الهجرات اليهودية

---

[22] ج3، ص 22. اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري عبد الوهاب، موسوعة

[23] روجيه جارودي، مرجع سابق، ص 163

[24] ج4، ص 242. اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري عبد الوهاب، موسوعة

[25] أنطر ريجينا الشريف، الصهيونية المسيحية،

فإنها اختلفت في منطلقاتها و أن الهجرات المنظمة الأولى قامت بها الحركة الصهيونية التي كانت تقودها قيادات علمانية تروح للقومية و الهجرات التي جرت بعد تأسيس الدولة كانت في معظمها هجرات اضطرارية خصوصا بالنسبة لليهود الشرقيين من العراق و المغرب، و اليهود من الناحية التاريخية و الاجتماعية لا يشكلون قومية متحدة فهم طوائف مختلفة و مجموعات إثنية متمايزة لغويا و حضاريا و ثقافيا بقيت هذه الفوارق قائمة حتى بعد الهجرة، فالمجتمع الإسرائيلي منقسم إلى أشكناز و سيفاراد ووفق تقسيمات متعددة ، و المجتمع اليهودي في إسرائيل علماني لا يكترث بالتعاليم الدينية للدين اليهودي، و هذه الأسطورة هي مزيج من القراءة السطحية لنصوص القرآن و العهد القديم[26].

الإيتوس الصراعي:

هذه المنظومة من الأساطير تساهم في إنشاء وعي بالذات و التضامن بين أعضاء المجموعة تجاه الخطر و العدو الذي يكتسب أبعادا أسطورية، لتخلق مجموعة من المعتقدات داخل الجماعة تشمل مجموعة من الثوابت الأخلاقية و القيمية تحدد توجهات الجماعة تجاه الأجنبي و ضمن الحياة اليومية، و هذا يجعل الصراع يقترب إلى الحل الصفري و يطل ينتق من جيل إلى جيل و تصبح التعبة سهلة إعلاميا، و يعزز النطرة العداية المتبادلة و نزع السمة الإنسانية للطرف الآخر[27]، وهنا يمكن أن نتكلم عن إيتوس صراعي.

عناصر الإيتوس الصراعي:

تتشكل المعتقدات الأساسية في الإيتوس الصرعي من العناصر التالية حسب دراسة يارتال:

1. الصورة السلبية للعدو
2. الصورة الإيجابية للذات الجماعية و شرعية اهدافها
3. تصوير الذات أنها في موقع الضحية
4. الصورة الإيجابية للجماعة و تقرير المصير
5. التصورات الذاتية للأمن
6. التصورات الخاصة حول الوطن و القومية
7. مسألة الوحدة القومية
8. قضية السلام و التسوية النهائية[28]

و نركز على ثلاث عناصر للأيتوس الصراعي لكلا الطرفين وهي : عدالة الهدف الذاتي مقابل عدم عدالة أهداف الخصم، شرعية الأهداف الذاتية مقابل عدم شرعية أهداف الخصم، اعتبار الجماعة ضحية.

فإذا أردنا ان نتفحص الإيتوس الصراعي الخاص بالإسرائيليين يمكن وصفه بالإجمال أنه إيتوس لمجمزعة خائفة تملك سلاحا مما يجعلها تشكل خطرا على جيرانها وعلى ذاتها

إيتوس عدالة القضية:

---

[26] عبد الوهاب المسيري، **الموسوعة اليهود واليهودية و الصهيونية**، ج 5و ج7

[27] الإيتوس: تشكيلة من المعتقدات المركزية الإجتماعية التي تعطي توجها خاصا للمجتمع، و إضفاء نمط من المعاني على الحياة الخاصة للمجموعة و عويتها(بارتال، 2000). كذلك
:Deborah L. West, **Myth and narrative in the Israeli- Palestinian conflict**, Cambridge, Massachusetts: world peace foundation, number 42, 2003. p8.

[28] Idem.

التبريرات الأساسية لقضية الصراع لدى الإسرائيليين إعلاميا و محاولة الإقناع المتجهة نحو إصبات أحقيتهم بالأرض (ايريتس يسرائيل) تدور حول: تبريرات تاريخية باعتبار أنها أرض إسرائيل التاريخية يحق لأي يهودي العيش فيها ، و ان التواجد اليهودي فيها كان مستمرا عبر التاريخ في مقابل الترويج لعدم عدالة القضية الفلسطينية إما من خلال إنكار وجود شعب فلسطيني بالكلية كما اشتهر عند خطابات غولدا مائير، أو أن مساحة الدول العربية هي بالحجم الكبير لإسكان الفلسطينيين النازحين، و أن فلسطين لم بها حضارة متمدنة و حواضر مهمة بعد سقوط الهيكل، بل كانت جرداء و قاحلة، و العرب كانوا بدو رحل أو فلاحين في أرياف متقطعة، فجاء الصهاينة الطليعيون فحولوا المستنقعات و الأراضي الجرداء إلى مساحات خضراء[29]، و تبين إحصاءات سبر الآراء التي أجراها مركز تامي ستينمتز مقدار قوة هذا الإيتوس المتعلق باعتقاد الإسرائيليين بعدالة قضيتهم و ضرورة احتفاظهم بالقدس عاصمة موحدة لدولة إسرائيل و أهمية أن تكون الدولة يهودية فهناك 81% من الإجابات في سبر الآراء يعتقدون بالقدس عاصمة موحدة لإسرائيل، و 8% وافقوا على حق العودة للاجئين الفلسطينيين، و 72% يعارضون الانسحاب الكامل من الضفة الغربية[30].

أما إيتوس عدالة القضية عند الفلسطينيين فيتضمن معتقدات الوجود الأصلي على الأرض باعتبار الفلسطينيين هم السكان الأصليون، و بالتالي ضرورة إقامة دولة فلسطينية وعودة اللاجئين بإثباتات تاريخية و اجتماعية تشمل التأكيد على قدم التواجد العربي الفلسطيني ومظاهر الفولكلور الفلسطيني[31]، و إثبات ديمغرافي بأن أغلبية السكان قبل 1948 كانوا عربا، و الحق في تقرير المصير مقابل النظر إلى الإسرائيليين : غزاة، مهاجرين غير شرعيين، و أن التواجد الإسرائيلي هو مجرد تواجد ظرفي و عابر مثل ما جرى مع الفرس واليونان والرومان والصليبيين و حتى الأتراك و أن القدس مدينة عربية قديمة منذ العهد الكنعاني[32] (أنظر الجدول رقم 1).

إيتوس الشرعية:

أما إيتوس عدم عدالة و عدم شرعية أهداف الطرف المعادي :

فنجد وسائل الإعلام المختلفة الإسرائيلية و حتى في الكتب المدرسية تعطي صورة دونية للفلسطيني و قد تطورت حدة هذه الدونية من اعتباره بدائيا، عبي، سريع الهيجان، مخرب، عنيف، إرهابي أو إرهابي محتمل، و المضامين الإعلامية الإسرائيلية من دافار، إلى هاآريتس ترسخ في أذهان الإسرائيليين بأن الفلسطينيين و العرب عموما هم وراء كل الحروب التي خاضتها إسرائيل، و أن العرب و الفلسطينيين يريدون القضاء على دولة إسرائيل و يرمون باليهود في البحر[33]، ومع اندلا ع الانتفاضة الأخيرة تعزز الإعتقاد لدى الإسرائيليين بأن الفلسطينيين يميلون إلى القتل و العنف ضد اليهود (أنظر الجدول رقم4).

أما تصورات الفلسطينيين إلى أهداف الإسرائيليين فهناك النظرة إلى اليهودي باعتباره ماكر و يرتكب القتل و العنف ضد الفلسطينيين ببرودة دم، و أن هدف الدولة العبرية هو القضاء على التواجد الفلسطيني على الأرض الفلسطينية بمختلف الأساليب (الطرد، الاستيطان، الإبعاد، القتل، تهديم البيوت،....) ، و تعززت هذه النظرة مع اندلا ع الانتفاضة الأخيرة[34].

إيتوس الضحية:

---

[29] Oren Neta, Bar-Tal Daniel, and David Ohad, " Conflict, Identity, and Ethos: The Israeli-Palestinian Case" in: **The Psychology of Ethnic and Cultural Conflict, p 137.**

[30] Ibid, p138-139.
[31] Ibid, 140.
[32] Ibid, p140.
[33] Ibid, p143.
[34] Ibid, p146

الإسرائيليون في وسائل الإعلام بمختلف أشكالها و حتى في كثير من المؤلفات التاريخية فهم يحاولون أن ينسبوا قسما كبيرا من تاريخ اضطهادهم إلى العصور الإسلامية و إلى المجتمعات الإسلامية حيث عوملوا كمواطنين من الدرجة الثانية و أهل ذمة الذي يعني في الكتابات الإسرائيلية شكل من التحقير و الدونية ، أما بخصوص الفلسطينيين فهم من خلال التركيز على العمليات الفدائية التي يقوم بها قسم من الفلسطينيين فهم يتعرضون لحرب يشنها عليهم الفلسطينيون و المنظمات فلسطينية الإرهابية المتحالفة مع حزب الله عن طريق الهجمات الانتحارية و رمي الحجارة على اليهود[35].

أما الفلسطينيون فصورة الضحية أوضح منها لدى الجانب الإسرائيلي الذي يرى قسم منه أن الحرب التي تشن على الفلسطينيين غير عادلة رغم أن هذا القسم من أنصار السلام أخذ يتضاءل وقع الحملات الإعلامية و التخوين و فوز اليمين و اعتلائه للحكم، فالفلسطينيون يرون ان الحرب الأخيرة فرضت عليهم و أنهم ضحايا للسياسات الإسرائيلية و أعمال القتل و التشريد من 1948.

خاتمة:

يرى بعض الدارسين أن مكونات الإيتوس الصراعي و قوتها عند أفراد المجموعة من العوامل التي تحول جون حل الصراعات الطويلة الأمد، نظرا لأن الأساطير التي يشكلها كل جانب تصبح أساطير مؤسسة لإيتوس صراعي يحول دون الرؤية الموضوعية لواقع الصراع من خلال وسائل الإعلام أو من خلال الكتابات المنهجية العلمية، و أن حدة الصراع هي سبب جوهري وراء هذا البناء الأسطوري الذي تعكسه وسائل الإعلام من خلال المعالجات الجزئية للواقع ، و كل طرف يفرض على جمهوره و على الرأي المحلي و العالمي الصورة التي يراها هو للصراع و أسبابه، مركزا على عدالة القضية التي يدافع عنها، أي وصف الواقع كما يراه و تمرير مجموعة من الصيغ و المصطلحات و المفردات لها مدلول خاص و متحيز أو الميل إلى عرض القضية من خلال التبسيط و التسطيح و الاختزال إلى حزمة من الثنائيات.

لذا لابد م قراءة موضوعية للمادة الإعلامية لكل طرف من خلال التمييز بين الواقع و الأسطورة، بين المفهوم الذي يمرر إعلاميا و مضامينه الكامنة (الإرهاب، السور الواقي، خريطة الطريق التي يسميها الجانب الإسرائيلي خريطة الطرق)، و ضرورة إدراك و دراسة الأحداث و عرضها إعلاميا بإشباعها بمعالجة تاريخية و ميدانية، و ضرورة التعامل مع المصادر و النصوص الدالة و المرجعية داخل ثقافة أي مجموعة ، و الإحاطة بالبعد التاريخي للظواهر الصراعية و طبيعة الوجود التاريخي لإسرائيل حاليا و و بنية العلاقات و التحالفات و المصالح التي تربطها مع الغرب خصوصا مع الولايات المتحدة الأمريكية.

[35] bid, p 147, 148.

ملاحق:

جدول1 : الحل الأمثل و النهائي لمدينة القدس

	اليهـود الإسـرائيليين ن=502	فلسطينيين ن=1199
القدس الشرقية و الغربية عاصمة موحدة لدولة إسرايبل	81	0.8
القدس الغربية عاصمة لدولة إسرائيل و المدينة القديمة تحت سيادة مشتركة و القدس الشرقية عاصمة لدولة فلسطين	6,7	4,4
القدس الغربية عاصمة لدولة إسرائيل و القدس الشرقية عاصمة لدولة فلسطين	4	18,6
القدس مدينة مفتوحة و عاصمة لكلا الدولتين	3	7,6
القدس دولية	4,2	9,1
القدس موحدة وعاصمة لدولة فلسطين	1,1	32,9
عاصمة للمسلمين	-	25
إجابات اخرى	-	0,3
لا اعرف	-	1,3

المصدر:

Source: Israeli-Palestinian People to People Peace Index, carried out by The Tami Steinmetz Center for Peace Research at Tel-Aviv University, and Jerusalem Media and Communication Center in 1999. The data appeared in The Tami Steinmetz Center's web site at www.tau.ac.il/peace/Peace_Index/IPPPPI

جدول :2 أين يمكن للنازحين الفلسطينيين أن يستقروا نهائيا

	اليهود الإسرائيليين	الفلسطينيين
إرجـاعهم إلى مسـاكنهم الأصـلية داخل فلسطين 1948	7,8	71,3
إلى أراضي الدولة الفلسطينية	31,1	21,1
اليقـاء في أمـاكن النـزوح و تـوطينهم فيها في الشرق الأوسط او أي مكان في العالم	52,6	5,3
لاأعرف	8,5	2,3

جدول3 : الحل النهائي للصراع الإسرائيلي الفلسطيني

	اليهود الإسرائيليين	الفلسطينيين
كونفيدرالية بين دولتين	7.8	3.6
دولة يهودية على كامل الضفة الغربية لنهر الأردن	63.2	1.2
دولة فلسطينية على كامل الضفة الغربية لنهر الأردن	1.5	35.5
دولة إسلامية على كافة أراضي الضفة الغربية	1.0	42.8
دولة فلسطينية كاملة السيادة		6.6
كونفيدرالية مع الأردن		1.2
مغادرة اليهود لفلسطين	10.9	1.2
إجابات أخري	5.0	1.8
ليس هناك حل للصراع	10.6	4.8
لا أعرف		1.3

جدول4 : صورة الإسرائيلي و الفلسطيني

صورة الفلسطيني في عيون الإسرائيليين			
	1977	1999	2000
عنيف	39	37	68
عديم الشرف	42	35	51
غير ذكي	37	30	*
ضعيف	*	*	35
صورة الإسرائيلي في عيون الفلسطينيين			
عنيف	77	75	94
عديم الشرف	62	67	81
غير ذكي	12	15	*
ضعيف	*	*	23

* لم تؤخذ إجابات.

المراجع:

.2005 /02/02

1. بـــدير خالـــد، الدعايـــة الصـــهيونية و الإنتفاضـــة الفلســـطينية، ***موقـــع باحـــث للدراســـات***, http://www.bahethcenter.org/arabic/derasat/ald3ia_alsahyouni.htm
2. بن يهودا نحمان ، " أسطورة المسادا"، ***مجلة الكرمل***، عدد 67، ربيع 2001، ص 205-24.
3. خشيم مضطفى عبد الله ، **موسوعة علم السياسة : مسطلحات مختارة**، بنغازي: الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان، 1995.
4. جارودي روجيه، **الخرافات الموسسة للسياسة الإسرائيلية**، ترجمة: م ع كيلاني، الجزائر: دار هومة، 1997.
5. شيلر هربرت، **المتلاعبون بالعقول**، ترجمة: عبد السلام رضوان، الإصدار الثاني، الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، 1999.
6. شـيلفر رون، " الحـرب النفسـية في إسـرائيل"، ***المركـز الفلسـطيني للإعـلام***،19 أفريـل 2005."< www.palestine-info.net\arabic\shoonalkaian\researches\haarb.htm >.
7. المسيري عبد الوهاب ، " الخطاب الصهيوني المراوغ: فك الشيفرة"، ***الاتحاد الإماراتية*** 2003/7/26.
8. المسيري عبد الوهاب، " الخطاب الصهيوني المراوغ"، ***صحيفة الشعب*** , 6-6-2003.
9. المسيري عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، القاهرة: دار الشروق، 1999.

10. Baskin Gershon and al Qaq Zakaria (dir), **Creating a Culture of Peace**, Israel Palestine center for research and information, Jerusalem, 1999.
11. Deborah L. West, **Myth and narrative in the Israeli– Palestinian conflict**, Cambridge, Massachusetts: world peace foundation, number 42, 2003.
12. Dunsky Marda, Israeli-Palestinian conflict: Roadmap to a balanced media picture, ***new routes***, vol 8, num: 2 , 2003, p 11-14.
13. Conflict, Identity, and Oren Neta, Bar-Tal Daniel, and David Ohad, "Ethos: The Israeli-Palestinian Case" in: **The Psychology of Ethnic and Cultural Conflict**,
14. Riccardo BOCCO, Matthias BRUNNER, Isabelle DANEELS, Jalal USSEINI, Frederic LAPEYRE, Jamil RABAH, **Palestinian Perceptions on Politics**, **Government**, **and Media in Palestine**, IUED – Graduate Institute of Development Studies, University of Geneva, Report I, November 2003.

مواقع على الأنترنيت:

المركز الفلسطيني للإعلام http://www.palestine-info.net/arabic/index.shtml

المشهد الإسرائيلي www.almash-had.org\index.html

موقع باحث للدراسات http://www.bahethcenter.org

موقع جريدة هاآريتس www.haaretz.co.il

موقع غاملا (إسرائيلي) www.gamal.org.il

موقع ميمري معهد أبحاث وسائل الإعلام في الشرق الأوسط www.memri.org

موقع تامي ستينمتز shttp://spirit.tau.ac.il/socant/peace/peaceindex/peaceindex.html

36